المحور 2. المحاضرة 3

تطور مناهج البحث في العلوم الانسانية

أولا– ماهية العلوم الانسانية:

يعرفه لالاند مصطلح "علوم إنسانية" في موسوعته على أنه:" تعبير حديث لكنه يعمم أكثر فأكثر، للدلالة على ما كان متفقا من قبل على تسميته "العلوم الأخلاقية [موضوعها الفكر البشري والعلاقات الاجتماعية] يزداد تشديد هذا التعبير على السمات الممكن رصدها خارجيا، لطريقة تصرف البشر وسلوكهم، فرديا أو جماعيا...العلوم الانسانية ليست كل العلوم المختصة بالانسان؛ مثلا: لا تسمى بهذا الاسم علوم التشريح أو الفيزيولوجيا البشرية، إنها العلوم التي تميز الانسان مقابل بقية الطبية"[1].

وكثير من الفلاسفة والعلماء حاولوا تعريف العلوم الإنسانية، فمنهم من قال بأن العلوم الإنسانية هي مجموعة من النشاطات المعرفية التي تهتم بموضوع الذات الإنسانية من خلال اهتماماتها وانشغالاتها، وأيضاً من خلال لغتها وتاريخها ووجودها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، والذي يمثله على التوالي علم الاجتماع وعلم الاقتصاد والأنثربولوجيا وعلم النفس وعلم التاريخ[2].

وظهرت مفارقة وعدم توافق في تسمية هذه العلوم، فالانجلوساكسون فضلوا تسميتها بالعلوم الاجتماعية (Social Sciences) على الرغم من اقتصار مفهوم العلم عندهم على العلوم الطبيعية لا غير؛ في حين حاول مفكرو المدرسة الفرنسية على غرار (جان بياجي) ربط العوم الانسانية بالعلوم الاجتماعية، ورأى (بياجي) انه لا يوجد اختلاف جوهري بينهما، وحاول اطلاق مصطلح **علوم الإنسان** على الدراسات الانسانية والاجتماعية مبررا ذلك بما أثاره المصطلح من تأويل متعلق بالقيم والأخلاق، والذي أشار إليه لالاند في تعريفه سلفا. وقدمت الدرسة الالمانية بقيادة (وليام دلتاي) مصطلحا مطابقا للعلوم الإنسانية ممثلا في **العلوم العقلية** أو **علوم الروح** لتمييزها عن علوم الطبيعة. ودخلت المدرسة الأمريكية في هذا الجدل لتعطي مصطلح **العلوم السلوكية** بديلا وهو امتداد للمدرسة السلوكية في علم النفس التي خاضت غمار دراسة سلوك الانسان فردا أو جماعة[3].

ومع النزعة الانسانية التي واكبت هذا العصر، بدأ الاهتمام بموضع الانسان كظاهرة قابلة للدراسة كباقي الظواهر المادية ضمن العلوم التجريبية، ومنه جاء مفهوم العلوم الانسانية على انه مجموعة من النشاطات المعرفية التي تهتم بموضوع الذات الانسانية من خلال اهتماماتها وانشغالاتها، وأيضا من خلال لغتها وتاريخها ووجودها

---

[1] أندري لالاند، موسوعة لالاند الفلسفية، منشورات عويدات، بيروت–باريس، 1993م، ص 1254.

[2] بوكردلة زواوي، "العلوم الإنسانية : وآفاق البحث في مناهجها"، مجلة الكلمة، 29 (2010)، ص 1.
http://kalema.net/home/article/view/963

[3] بورنان خيرة، "اتجاهات ومناهج البحث في العلوم الإنسانية"، مجلة الحكمة للدراسات الفلسفية، 1-2 (2013)، ص 197.

الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، والذي يمثله على التوالي علم الاجتماع وعلم الاقتصاد والأنثروبولوجيا وعلم النفس وعلم التاريخ والحضارة والآثار[4].

ثانيا–مراحل تطور العلوم الانسانية:

إنّ ظهور المفهوم الحقيقي للعلوم الإنسانية ارتبط علميًّا ومنهجيًّا بعصر الأنوار الأوروبية، ومع النزعة الإنسانية التي واكبت هذا العصر، والتي بدأت تهتم بموضوع الإنسان كظاهرة تدرس مثل بقية الظواهر المادية التي تدرس داخل العلوم التجريبية. وسنخوض هنا في مختلف التحولات التي عرفتها العلوم الانسانية:

1–العلوم الانسانية ومرحلة الانطواء تحت الفلسفة:

تعد المرحلة الفلسفية[5] من أهم المراحل التي قطعتها ومرت منها العلوم الإنسانية، وقبل هذه المرحلة كانت الممارسات ذات البعد المعرفي بالمجال الإنساني لاسيما ما اتصل بالعالم النفسي والاجتماعي والتربوي، تمارس بشكل تلقائي وبصفة عفوية وأحيانا بشكل غير علمي، لأن المعارف التي يتلقاها أو يحصل عليها الإنسان اتجاه ذاته و نفسه، أو حتى في احتكاكه وتواصله مع الغير، وفي تفاعله مع المحيط والمجال الذي يعيش فيه والقريب منه، وهو المجال الذي يتفاعل معه باستمرار وبشكل دائم، عادة ما تكون تلك المعارف تلقائية وبسيطة وعفوية، يحصل عليها الإنسان تلقائيا عن طريق الاحتكاك العفوي، أو عبر العمل والتواصل والممارسة التلقائية اليومية التي يكتسبها من معيشته وحياته اليومية.[6]

وهو ما يدل بأن البدايات الأولية للممارسات البحثية في العلوم الإنسانية كان هو الاشتغال على الإنسانيات بمعيار نظري وهو جعل البحث في ما هو إنساني يغلب عليه الرؤى والتوجهات الفلسفية، وكانت بداياته ومقدماته الأولى هو الاحتضان والتعايش مع الفلسفة، ففي البحوث الفلسفية اليونانية استحضر فلاسفة اليونان المسائل الإنسانية والنفسية والاجتماعية لكن برؤية ومن زاوية فلسفية، فمازال الفكر الفلسفي يسترجع ما قاله سقراط الذي أمضى حياته بحثا عن الحقيقة.[7]

2– تطور مناهج البحث في العلوم الإنسانية:

يرى الكثير من الباحثين في العلوم الانسانية أن أكبر ما تحقق في مسار العلوم الإنسانية التاريخي الطويل هو طلاقها وانفصالها عن الفلسفة كمنطلق لتكونها، وتوجهها نحو الاختصاص والاستقلال والتميز بموضوعها الخاص بها. ويرى الفيلسوف الفرنسي "ميشال فوكو" أن العلوم الإنسانية لم تتوارث تراثاً واضح المعالم لأنها كانت منطوية تحت الفلسفة، ومع بداية القرن الثامن عشر بدأت هذه العلوم تفترض فكرة وجود الإنسان كذات قابلة للدراسة

---

[4] محمود أحمد درويش، مناهج البحث في العلوم الانسانية، مؤسسة الأمة العربية للنشر، القاهرة، 2018م، ص 11.

[5] لوسيان غولدمان، العلوم الانسانية والفلسفة، تر: يوسف الانطكي، المجلس الاعلى للثقافة، 1996م، ص 4-5 و 41؛ عمار بوحوش وآخرون، المرجع التسابق، ص 180-181.

[6] العلوم الإنسانية : وآفاق البحث في مناهجها"، مجلة الكلمة، 69 (2010). http://kalema.net/home/article/view/963

[7] خيرة عبد العزيز، "العلوم الانسانية واشكالية النشأة: من الفلسفة إلى العلم"، مجلة دراسات في التنمية والمجتمع، 7-3 (2022)، ص 24-25.

والبحث[8]. أما "كلود ليفي ستراوس" فيرى أن العلوم الإنسانية تأخرت كثيراً عن العلوم التجريبية ولكن في القرن الماضي –يقصد القرن التاسع عشر– فإن الوضع تغير كثيراً نتيجة تطور العلوم التجريبية في مناهجها، وهذا الوضع الجديد استغلته العلوم الإنسانية لتجعل من ذاتها منفعة ومصلحة كبرى تحاول بذلك حل مشاكل الإنسان[9].

واعتبر جان بياجي أن تطور العلوم الإنسانية جاء نتيجة حتمية لانفصالها عن الفلسفة، وبذلك حاولت حل مجموعة من الإشكاليات بمناهج تصدر من طبيعة موضوعاتها ووظفتها من العلوم التجريبية، وحاول "بياجي" عرض مسار تطور العلوم الإنسانية، يقول: إن العامل الأساسي للتطور العلمي للعلوم الإنسانية وبالخصوص علم النفس وعلم الاجتماع هو انفصال هذه العلوم عن الجذع المشترك للفلسفة، خاصة في فترة تطور الفلسفة الغربية الحديثة التي أعادت تشكيل النظام المعرفي لكل العلوم. مع مطلع القرن الثامن عشر بدأ الحديث عن علوم قائمة بذاتها كانت متضمنة في الفلسفة كعلم الاجتماع وعلم النفس ربطها "إيمانويل كانط" بعصر الأنوار في قوله: "هو قدرة الإنسان على تجاوز قصوره الذي كان هو سبباً فيه"؛ أخيرا، بدأ اهتمام الإنسان بذاته وبوجوده، باعتباره السبب الأول في إيجاد علوم تهتم بمصيره وبوجوده؛ هذه العلوم التي استقلت عن الفلسفة بعد صياغتها لمبادئها وأسسها الخاصة، وكذا ظهور بعض المشكلات والظواهر التي تستدعي وجود علوم قائمة بذاتها لتفسيرها ومعالجتها، في ظل سيرورة التطور السريعة.

وبحسب حافيظ علوي فمصطلح العلوم الإنسانية مرجعه إلى أحد كتب الفيلسوف ويلهلم دلتاي Wilhelm Dilthey) (1833-1911) بعنوان: "المدخل إلى العلوم الإنسانية"، وهو صاحب مقولة :" فهم ذات الانسان بالاستناد للتجربة والسببية"، غير أن تأصيل هذا المصطلح لم يتم إلا في منتصف القرن العشرين[10]، وحاول المفكر الفرنسي كلود ليفي ستراوس[11] تحديد مكونات العلوم الانسانية انطلاقا من معياري:

-إذا كانت العلوم تُعنى بالظواهر التي تنشأ من الحياة الجماعية للإنسان كالاقتصاد، والقانون، والسياسة فهي علوم اجتماعية، لكن هذه العلوم لا تتناول إلا ما هو مشترك بين جميع أفراد المجتمع وفئاته؛

-إذا كانت العلوم تتناول ما يعتبر ظواهر فردية تنبثق من سلوك الأشخاص كأشخاص، فهي علوم إنسانية مثل: الظواهر التي يبحثها علم النفس، في الغالب، والفلسفة، وتتكون من: التاريخ، والآثار والأنثروبولوجيا واللسانيات، والفلسفة، والمنطق، وعلم المناهج، وعلم الاجتماع[12].

---

[8] ميشال فوكو، الكلمات والأشياء، تر: جورج أبو صالح، وكمال اصطفانا، مركز الانماء القومي، بيروت، 1989-1990م، ص 286.

[9] محمود احمد درويش، المرجع السابق، ص 11-12.

[10] حافيظ اسماعيلي علوي، العلوم الإنسانية في الثقافة العربية"، مجلة الكلمة، 60 (2008). http://kalema.net/home/article/view/840؛ محمود احمد درويش، المرجع السابق، ص 11 و 15.

[11] كلود ليفي ستراوس، الأنثروبولوجيا البنيوية، تر: مصطفى صالح، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، ج2، 1983م.

[12] المرجع نفسه، ج2، ص 438.